

أثر التطور الدلالي في اللغة العربية

The Effect Of The Semantic Development In The Arabic Language

الدكتور: هني حباس

hen.hab22@gmail.com

جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)

تاريخ النشر: 2020/05/02

تاريخ القبول: 2020/02/20

تاريخ الإرسال: 2020/02/04

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الموجزة لرصد التطورات والتغيرات التي تعرضت لها اللغة العربية، قبل مجيء الإسلام وبعده، وذلك بالبحث والتنقيب على هذه الألفاظ التي تعرضت للتطور والتغير؛ وبيان أصولها واستعمالاتها قبل التطور وبعده، وكيف كان هذا التطور إما بانتقال دلالتها من التعميم إلى التخصص، أو من التضييق إلى التوسع، أو من الرقي إلى الانحطاط والانحدار، أو من مجال إلى مجال أو عبر المجاز ولقد كان لمجيء الإسلام دور كبير في هذا التطور، وذلك باكتساب الألفاظ دلالات جديدة ومعاني مختلفة عما كانت عليه، وهذا مما يؤكد طواعية اللغة العربية ومرونتها في تقبل الاستعمالات الجديدة للدلالة.

الكلمات المفتاحية: الأثر - التطور - الدلالة - اللغة العربية.

Abstract

this study aims to know the changes that the Arabic language underwent before and after the advent of Islam by researching and exploring these developed and modified words; The expansion of Islam plays an important role in this development by acquiring meanings different from what it was, thus confirming the voluntary character of the Arabic language and its flexibility. Accept use New signs.

Key words : Evolution - semantics -influence. - Arabic language

مقدمة:

يعتبر التطور في حياة الإنسان أمراً حتمياً، قال الله تعالى: " وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا"¹، جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية؛ "أي؛ قد خلقكم حالا بعد حال: طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة. طبيعة التغير في المراحل العمرية للإنسان والتكرار المستمر لهذا التغير"²، كما أنّ اللغة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها وممتنها ودلالاتها، وأيضاً من حيث الشيوع والاضمحلال، والتطور الدلالي هو أحد جوانب التطور اللغوي، وميدانه الكلمات ومعانيها، ومعاني الكلمات لا تستقر على حال، بل هي في تغير مستمر لا يتوقف، وتؤدي لهذا التطور الدلالي عوامل مختلفة، كما أن له مظاهر معينة يسلكها هذا التطور، وهو ما نحاول الوقوف عليه من خلال هذه الدراسة. وهنا يتبادر

إلى الذهن أسئلة: فماذا نعني بالتطور الدلالي؟ وما هي العوامل التي تؤدي إلى هذا التطور؟ وما هي آثاره على اللغة؟

أولاً: مفهوم التطور الدلالي: كان اهتمام علماء العربية كبيراً بتتبع دلالات الألفاظ وبيان أصولها، وما آلت إليه من تغيرات، فخلصوا إلى أن التغيير الدلالي في اللغة لا يستقر على حال، ولا يثبت على وجه، فاللغة إذن تتغير وتتطور من مجال إلى مجال، إلا أن هذا التغيير وهو تغيير تدريجي، وهذا ما يؤكد عبد الكريم محمد حسن جبل حيث يقول: "التغيير الدلالي هو التغيير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدل الحياة الإنسانية فينقلها من طور إلى طور آخر"³، وذلك عبر عصورها المختلفة، ومتى توافرت الدواعي أو الأسباب التي تؤدي إلى ذلك.

وآثر بعض اللغويين أن يستعمل مصطلح التغيير بدلاً من مصطلح التطور؛ وذلك لما تحمله مفردة التطور من معنى إيجابي بخلاف مفردة التغيير، وقد أشار الدكتور رمضان عبد التواب إلى ذلك فقال: "كما أنّ استخدام اللغويين المحدثين لكلمة (التطور) لا يعني تقييم هذا التطور والحكم عليه بالحسن أو القبح، فإنه لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة (التغيير)"⁴.

قال ابن فارس: "كانت العرب في جاهليّتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرايبهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوالٌ ونُسِخَتْ ديانات وأبطلت أمورٌ ونُقِلت من اللغة ألفاظٌ من مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائع شُرطت فعقّى الآخر الأول"⁵.

ابن فارس وإن تحدث عن التطور الذي حصل للغة العربية بمجيء الإسلام، إلا أن هذا لا يعني أن التطور في اللغة مقتصر على اللغة العربية فقط، بل يحصل لجميع اللغات والألسن، يقول عبد السلام المسدي: "إن الحقيقة العلمية التي لا مرأى فيها اليوم أنّ كلّ الألسنة البشرية ما دامت متداولة فإنّها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً، وإتّما هو مأخوذ في معنى أنّها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغيير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر"⁶.

ثانياً: عوامل التغيير الدلالي

تتعدد أساليب التغيير الدلالي وتتنوع مظاهره، ولا يمكن الفصل بين الاثنين؛ لأن العلاقة بينهما تشبه على حد تعبير إبراهيم أنيس: "أن شبه ظاهرة التطور في الألفاظ بالعلة التي قد تعترى الكائن الحي"⁷، وقد حصرها في خمس مظاهر: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، انحطاط الدلالة، ورفي الدلالة، وتغيير مجال الاستعمال. ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى عاملين اثنين:

عوامل خارجية، وعوامل داخلية، أو العامل الاجتماعي والثقافي - العامل النفسي - العامل اللغوي.

1. العوامل الخارجية: الزمن والعصر، والمكان والبيئة. كما أشرنا في المثال السابق، ونذكر منها ما يأتي:

أ- العامل التاريخي - الزمن: ويقصد به المراحل التي تمر بها الألفاظ، والتي تؤدي إلى التطور الدلالي، ونجد ألفاظاً كثيرة تطورت دلالياً بسبب التحولات التاريخية، وخير دليل على ذلك ما حدث للغة العربية بمجيء الإسلام، والذي أحدث ثورة من حيث الألفاظ والمعاني، ولعل أحسن مثال على ذلك التغيير الذي طرأ على أركان الإسلام؛ فالصلاة والزكاة والصيام والحج، التي كانت لها دلالات وبعد مجيء الإسلام تطورت دلالتها وتغيرت، فأصبحت تحمل دلالات جديدة، قال الله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ"⁸. الصلاة: كانت تدل على الدعاء ثم أصبحت تدل في الإسلام. على الأقوال والأفعال المخصوصة المفتوحة بالتكبير المحتمة بالتسليم بشرائع خاصة، وكذلك (الصيام)، أصله عندهم (الإمساك).. ثم زادت الشريعة النية، وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم. وكذلك (الحج)، لم يكن عندهم فيه غير (القصد).. وكذلك (الزكاة) لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية (النماء)، وزاد الشرع ما زاده فيها⁹.

ب- العامل الاجتماعي والثقافي: التطور الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية يعد من الأسباب الخارجية التي تؤدي إلى انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد نتيجة لتطور العقل الإنساني ورفيقه، وهذا ما يكاد يتفق عليه الباحثون من حيث نشأة الدلالة ، فكلما ارتقى التفكير العقلي عند الإنسان جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال¹⁰ ، ومن الأمثلة على تطور الدلالة من الحسي إلى المعنوي ما ذكره أهل اللغة من أن أصل معنى (الشرف) المرتفع من الأرض، ومنه قول العرب: حلوا مشارف الأرض؛ أي: أعاليها، ثم نقلت إلى معنى مجرد، فقالوا: فلان شريف؛ أي: عالي المنزلة¹¹.

ج- العامل النفسي: إن الآداب الاجتماعية، والحياء، والاشتمزاز، والتفاؤل، كلها أسباب نفسية تدعو إلى تجنب كثير من الألفاظ، والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يُكْنَى بها عن الأشياء التي يُسْتَحَى من ذكرها، أو يُخَاف، أو يُتَشَاءَم من التلفظ بأسمائها¹². ومن أمثلتها أن القرآن الكريم لا يذكر الجماع والوطء وإنما يكتفي، قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثَقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"¹³.

التفاؤل والتشاؤم: يعد من أهم العوامل التي بسببها تنتقل دلالة اللفظ إلى ضده، ومن هنا فإن بعض الألفاظ تكتسب معان جديدة بسبب العوامل النفسية التي تؤثر في الناطقين بها.

2. العوامل الداخلية: عوامل خاصة باللغة بحد ذاتها، منها الآتي:

أ. تخصيص العام: من أمثلة ذلك ما حدث من تخصيص ألفاظ أركان الإسلام (الصلاة، الزكاة والصيام والحج...)، وقد كانت من قبل تستخدم في معان عامة ثم خصصت وذلك بعد مجيء الإسلام.

ب. تعميم الخاص: كما أنه بعض الألفاظ يتخصص بدلالات معينة، فكذلك بعض الألفاظ توسع وتعمم الخاص، فمثلا كلمة (اتقى) تعني في الأصل: وقى نفسه ثم استعملت كلمة (التقوى) بمعنى أعم من المعنى الخاص فأصبحت تفيد العمل الصالح، وأصبحت كلمات: (التقي والمتقي) تدل على الرجل الصالح، ذكر ابن منظور في معجم (لسان العرب) أن العرب تقول: "رجل تقي، ويجمع على أتقياء، معناه أنه مُوقٍ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح، وأصله من وقيت نفسي أقيها"¹⁴. قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"¹⁵

ج. انتقال الدلالة من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، من ذلك لفظ (العقيقة) الوارد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة: "عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة"¹⁶.

قال أبو عبيد: قوله: (العقيقة)، أصله: الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد¹⁷. فقد انتقل معنى العقيقة من الدلالة على الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، إلى الدلالة على الذبيحة تذبح عنه.

3. عوامل مقصودة: وهي العوامل المتعمدة، كقيام الجماع اللغوية والهيئات العلمية حين تحتاج إلى استخدام لفظا ما للتعبير عن فكرة أو مفهوم معين، بوضع مصطلحات جديدة، أو إضفاء دلالات جديدة على ألفاظ قديمة لمجاراة التطور في مجالات الحياة المختلفة¹⁸.

ثالثا: آثار التطور الدلالي: أنتجت هذه العوامل آثارا ونتائج في التطور الدلالي، فنذكر منها ما يأتي:

أ - **الترادف**: تعد ظاهرة الترادف في اللغة العربية من بين الظواهر التي تضفي على العربية ميزة خاصة إلى جانب الظواهر اللغوية الأخرى، حيث تعتبر هذه الظاهرة وسيلة من بين الوسائل التي أغنت المعجم العربي حتى أمسى العربي يستطيع التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ دون حدوث لبس في الفهم، وقد اهتم اللغويون القدامى بظاهرة الترادف، وهو اختلاف اللفظ واتحاد المعنى في كلمتين فأكثر، وقد تناوله الغزالي في كتابه المستصفي فقال: "وأما الترادف فنعني به الألفاظ المختلفة والصيغ المتواردة على مسمى واحد كالخمر والعقار، والليث والأسد، والسهم والنشاب، وبالجملة كل اسمين لمسمى واحد يتناولهما أحدهما من حيث يتناولهما الآخر من غير فرق"¹⁹، فعلاقة الترادف بظاهرة التطور الدلالي كان لها أثر جلياً في نمو اللغة وكثرتها، فإننا نجد أن هناك بعض الكلمات التي توجد فيها بعض الفروق تختفي بمرور الوقت وتطوّر اللغة.

ب - **المشترك اللفظي**: يعد المشترك اللفظي من صور تعدد المعنى، لذلك كان الأصوليون أكثر علماء العربية عناية به، فعرفوه بأنه: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، واختلف الناس فيه؛ فالأكثر على أنه مُمكن الوقوع؛ لجواز أن يقع إما من واضعين، بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى، ثم يضع الآخر معنى آخر، ويشتبه ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين؛ وهذا على أن اللغات غير توقيفية؛ وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة، كما روي عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه - وقد سأله رجل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقت ذهابهما إلى الغار: من هذا؟ قال: هذا رجل يهديني السبيل"²⁰.

وأما اللغويون فيعتبر سيبويه (ت 180 هـ) أول من أشار إلى المشترك اللفظي حيث ذكره في تقسيمات الكلام في كتابه قائلاً: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... واختلاف اللفظين والمعنى واحد؛ نحو: ذهب وانطلق"²¹.

أما ابن فارس (ت 395 هـ) فقد أفرد للمشترك اللفظي باباً خاصاً وعرفه بقوله "معنى الاشتراك: أن تكون اللفظة محتمة لمعنيين أو أكثر..."²².

ولعل تعريف أهل الأصول للمشترك هو أدق ما يُجد به، ويسمون بالمبادئ اللغوية مثل المشترك، والمتضاد، والمترادف، ومعاني الحروف، فالمشترك عندهم: "اللفظ الواحد الدال على معنيين فأكثر على السواء عند أهل تلك اللغة"²³.

فهذه التعريفات سواء كانت لعلماء الأصول أو لعلماء اللغة تبين لنا أن المشترك اللفظي كمفهوم هو اللفظ الدال على أكثر من معنى، وبعبارة أخرى هو دلالة دال واحد على مدلولات مختلفة.

ج - **الأضداد**: الأضداد ظاهرة من الظواهر اللغوية التي أسهمت في نمو الثروة اللفظية والاتساع في التعبير عند العرب، وهو أن يُطلق اللفظ على المعنى وضده، وعرفه أبو الطيب اللغوي بقوله: "والأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نفاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضداً له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدّين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين وليسا متضادين"²⁴. فهو نوع من المشترك اللفظي، فكل تضاد مشترك لفظي وليس العكس.

د - الاشتقاق: يعد موضوع الاشتقاق في اللغة العربية من الموضوعات المهمة التي حظيت باهتمام المختصين والباحثين؛ لأنه يعد من وسائل نمو اللغة، فنال اهتمام علماء اللغة الأقدمين والحديثين، "وهو وسيلة مهمة في نموها وبقائها حية على صفحات الدهر، والواقع أن العربية تتميز بهذا النوع الذي يكثر فيه التوالد والنتاج"²⁵.
فالاشتقاق ظاهرة من الظواهر التي لا يمكن الاستغناء عنها في أبحاثنا ومؤلفاتنا.

هـ - المعرب، أو الدخيل: تعد ظاهرة المعرب والدخيل في اللغة العربية من أساليب تنمية اللغة العربية وتوسيع دلالات ألفاظها، واستيعابها لمضامين جديدة، قال ابن منظور في لسان العرب: "وتعريب الاسم الأعجمي أن تنفوه به العرب على منهاجها، تقول عربته العرب وأعربته أيضا وأعرب الأغمم وعرب لسانه بالضم، عروبة أي صار عربيا، وتعرب واستعرب، أفصح..."²⁶، وعليه يمكن القول أن الدخيل والمعرب إذا كان أعجميا عربته العرب وفق طريقة كلامها، وفق قوانين لغتها. وقال الفراهيدي أن الدخيل هو: "كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه، وكل من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم، يقال هو دخيل فيهم أي هو من غيرهم، وقد دخل فيهم، والدخيل المداخل...."²⁷.
وبهذا يتضح أن الدخيل هو ما لم يكن جزءا من الشيء بل كان من غيره، لكنه دخل فيه وانتسب إليه، أو أدخل فيه.

و - النحت: يعتبر النحت وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها؛ حيث اشتقاق كلمات حديثة لمعانٍ حديثة، ليس لها ألفاظ في اللغة، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها. فالخليل بن أحمد (ت 175هـ) هو أول من اكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: "إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرّب مخرجيهما، إلا أن يشتقّ فعل من جمع بين كلمتين مثل (حي على) كقول الشاعر:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ الْعَيْنِ جَارٍ
أَلَمْ يَحْزُنْكَ حَيْعَلَةُ الْمُنَادِي؟

فهذه كلمة جمعت من (حي) ومن (على)، ونقول منه (حيعل، يحيعل، حيعلة...)²⁸.

وبناء على ما سبق يتضح أن النحت هو تيسير التعبير بالاختصار، فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة وذلك بفضل النحت، فمثلا: حي على الفلاح، تصير بعد النحت: حيعل، وبسم الله الرحمن الرحيم، تصير (بسملة)، وهلم جر.

رابعا: خصائص التغير الدلالي: تتمثل خصائص التغير الدلالي فيما يلي²⁹:

أ- ارتباط التغير الدلالي باللهاجات العربية، وتعتبر هذه أهم خاصية من خصائص التغير الدلالي.

ب- سير التغير الدلالي للكلمة يكون بطيئا، خاصة في اللغة العربية. يقول أولمان: "اللغة ليست هامدة أو ساكنة، بحال من الأحوال، بالرغم من تقدمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحيان، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، من قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة..."³⁰.

ت - التغير يحدث بطريقة غير مباشرة (تلقائية).

ث - وجود صلة بين الدلالة الجديدة للكلمة، ودلالاتها الأصلية - قبل تعرضها للتغير -.

ج- التقييد بالزمان والمكان في التطور ذاته لدلالة الكلمة.

ح - إن حدوث التغيير في بيئة ما يؤثر على أفراد تلك البيئة.

خ- ارتباط التغيير باللحن.

وبعد وقوفنا على أهم عوامل التطور الدلالي وخصائصه التي ذكرها معظم علماء اللغة في القديس والحديث، ولم يبق لنا إلا أن نتعرف على أهم المظاهر التي يبرز فيها هذا التطور.

خامساً: مظاهر التطور الدلالي: يقول اللغوي (ج. فندريس): "ترجع أحياناً التغييرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: التضييق والاتساع والانتقال، فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص.. وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، وهناك انتقال عندما يتبادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص"³¹، (دور الكلمة في اللغة)، ولا بد من القول إن علماءنا الأوائل قد تنبهوا إلى هذه المظاهر الثلاثة من مظاهر التطور الدلالي وأغنوها بالبحث والأمثلة الكثيرة.

أ- اتساع الدلالة (تعميم الدلالة)³²: فكلمة (البأس) مثلاً كانت خاصة بالحرب، ثم أصبحت تطلق على كل شدة، تناول ابن فارس في كتابه (الصاحبي) ظاهرة تعميم الدلالة وأفرد لها باباً بعنوان: (القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) جاء فيه: "كان الأصمعي يقول: أصل (الورد): إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء ورداً"³³.

ب- تخصيص الدلالة أو تضييقها: وقد تحدث السيوطي (ت911هـ) أيضاً عن هذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي أي (تخصيص الدلالة) ضمن باب في كتابه (المزهر) سماه: (معرفة العام والخاص) ذكر فيه اللفظ (العام المخصوص) وهو عنده اللفظ الذي: "وضع في الأصل عاماً، ثم خص في الاستعمال ببعض أفراده كما جاء عن (ج. فندريس) في حديثه عن عامل تخصيص الدلالة فقال: "الكلمات العامة لا تكاد تستخدم في الاستعمال بقيمتها العامة، اللهم إلا إذا كان ذلك عند الفلاسفة، فكل واحد من المتكلمين يطلقها على نوع خاص من أنواع النشاط، وقد تكلم علماء اللغة عن المعاني المختلفة لكلمة (عملية) فإن معناها يختلف تبعاً لما إذا كان الكلام في الجراحة، أم في المالية، أم في الفن الحربي، أم في شؤون الغابات، أم في الرياضة"³⁴.

ج- رقي الدلالة: يصيب بعض الألفاظ رقي وسمو أيضاً، ومثال ذلك كلمة رسول التي كانت تدل على أي شخص يحمل رسالة أو أي شخص بعثه الحاكم، ثم بعد مجيء الإسلام أخذت تتخصص وترتقي لتدل على الرسول صاحب الرسالة السماوية، وفي لسان العرب: **وَجَدَّتِ الْإِبِلُ تَمَجُّدًا مُجُودًا، وَهِيَ مُوَاجِدٌ وَجُّدٌ وَجُودٌ وَأَجْجَدَتْ: نَأَلَتْ مِنَ الْكَلَامِ قَرِيبًا مِنَ الشَّبَعِ وَعُرِفَ ذَلِكَ فِي أَجْسَامِهَا، وَجَّجْتُهَا أَنَا تَمَجُّدًا وَأَجْجَدُهَا رَاعِيهَا وَقَدْ أَجْجَدَ الْقَوْمُ إِبِلَهُمْ، وَذَلِكَ فِي أَوَّلِ الرَّيِّعِ"³⁵. فانتقلت من معنى مرتبط بالإبل إلى الشرف والسؤدد والرفعة.**

د- انحطاط الدلالة وانحدارها: ومن عوامل التطور الدلالي كذلك: عامل انحطاط الدلالة وانحدارها، الذي يصيب الألفاظ في كل لغة، فكلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية: (رئيس الوزراء) ثم انحدرت في وقتنا الحاضر إلى معنى (البواب)، وكلمة (الوزير) العربية أصبحت تعني في الإسبانية (الشرطي)³⁶. فهكذا انتقلت بعض الألفاظ من الرفعة إلى الانحطاط، وذلك بسبب تغير البيئة والزمن وعوامل أخرى.

هـ- **تغير مجال الاستعمال (المجاز):** ويعبر عنه إبراهيم أنيس بأنه "النقل من مجال إلى آخر سواء كان عن عمد أو عن غير عمد"³⁷، كقولنا: أسنان المشط، أرجل الكرسي... وقد يؤدي انتقال مدلول بعض الكلمات من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي إلى اضمحلال المعنى الحقيقي، ويصبح مجازه كالحقيقة مثال ذلك كلمة (الوغى) مدلولها في الأصل هو اختلاط الأصوات في الحرب، ثم انتقل ليُعبر به عن الحرب نفسها.

خاتمة.

من خلال هذه الدراسة وقفنا عند المظاهر التي يتجلى فيها التطور الدلالي، كما عرفنا الآثار المترتبة على التطور الدلالي في اللغة عند العرب، وقد لاحظنا أن الدافع الأساسي الذي أدى إلى إثراء اللغة العربية وتوسيعها هو مجيء الإسلام، والذي أضاف الكثير من المصطلحات الجديدة التي لم تكن معروفة عند العرب، كما أنه وسع في بعض معاني الألفاظ، ومن جهة أخرى ضيق بعض دلالاتها، وأيضا ارتقى ببعض الألفاظ التي كانت منحطة، وفي مجال آخر حط ببعض الألفاظ أو انتقل بها من مجال إلى مجال آخر.

كما أننا التمسنا من خلال هذا البحث أن علماء العربية المتقدمين، كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه، وابن جني، وابن فارس، والسيوطي وغيرهم، كان لهم الفضل في تفصي واستقراء عوامل التطور الدلالي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إمامهم وإحاطتهم بهذا العلم، وباللغة العربية، وبهذا صارت اللغة العربية ثرية وغنية بالألفاظ والدلالات المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م..
2. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: ددل، دار صادر - بيروت.
3. أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، ط: 2، السنة: 1996م.
4. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كني (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، السنة: 1420هـ-1999م.
5. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ)، المستصفي من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ.
6. أحمد ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، السنة: 1328هـ-1910م.
7. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط: 5، السنة: 1998م.
8. ج. فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية.
9. جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ط: 1، السنة: 1430هـ-2009م.
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م.
11. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط: 3، السنة: 1417هـ-1997م.
12. ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب.
13. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: 3، السنة: 1408هـ - 1988م.
14. عبد السلام المسدي، اللسانيات أسسها المعرفية، المطبعة المعرفية، تونس، السنة: 1986م.

15. عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، السنة: 2004م.
16. عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، السنة: 1997م.
17. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، السنة: 1981م.
18. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك مكتبة الثقافة الدينية، السنة: 1424هـ/ 2003م.

الهوامش:

- ¹ سورة نوح: الآية: 14
- ² أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، السنة: 1420هـ-1999م، ج8/ 233.
- ³ عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، السنة: 1997م، ص: 33.
- ⁴ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط: 3، السنة: 1417هـ- 1997م، ص: 14.
- ⁵ أحمد ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، السنة: 1328هـ- 1910م، ص: 44.
- ⁶ عبد السلام المسدي، اللسانيات أسسها المعرفية، المطبعة المعرفية، تونس، السنة: 1986م، ص: 38.
- ⁷ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 152.
- ⁸ سورة البقرة: الآية: 43.
- ⁹ ينظر: أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص: 47.
- ¹⁰ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م، ص: 161.
- ¹¹ ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 162.
- ¹² محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، السنة: 1981م، ص: 215- 216.
- ¹³ سورة الأعراف: 189.
- ¹⁴ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة: دلل، دار صادر - بيروت، ج15/ 267.
- ¹⁵ سورة آل عمران: الآية: 102..
- ¹⁶ رواه: أبو داود في سننه، تحت رقم: 2842، وأحمد في مسنده، تحت رقم: 6713؛ والنسائي في سننه، تحت رقم: 4212 حديث، وقال ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح، ج4/ 138: حديث حسن.
- ¹⁷ ينظر: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مكتبة الثقافة الدينية، السنة: 1424هـ/ 2003م، ج1/ 147.
- ¹⁸ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط: 5، السنة: 1998م، ص: 242.
- ¹⁹ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ)، المستصفي من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، ج1/ 95 - 96.
- ²⁰ جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط: 1، السنة: 1430هـ- 2009م، ج1/ 260.
- ²¹ سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: 3، السنة: 1408هـ - 1988م، ج1/ 24.
- ²² أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص: 456.
- ²³ جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهري في علوم اللغة، القدس للنشر والتوزيع، ط: 1، السنة: 1430هـ- 2009م، ج1/ 260.
- ²⁴ أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، ط: 2، السنة: 1996م، ص: 32.
- ²⁵ عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، السنة: 2004م، ص: 145.
- ²⁶ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع.ر.ب) مج4/ 2865 ج32/
- ²⁷ ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م، ج1/ 60.
- ²⁸ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م، ج1/ 60.

- ²⁹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط: 5، السنة: 1998م، ص: 242.
- ³⁰ ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ص: 153.
- ³¹ ينظر: ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص: 153-154.
- ³² إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص 152 وما بعدها
- ³³ ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 155.
- ³⁴ ج. فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص: 257-258.
- ³⁵ ابن منظور، لسان العرب، ج3/396.
- ³⁶ ج. فندريس، اللغة، ص: 253-254.
- ³⁷ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 160.